جامـــعة قنـــاة السويـــس
معهد الدراسات الأفروآسيوية للدراسات العليا

أثر مبدأ الإلزام في الاستدلال على وجـــود الله تعالى عند الإمام فخر الدين الرازي

إعـــداد الباحثة/

عبير أحمد مصطفى أحمد

مجلة الدراسات الأفروآسيوية

مجلة علمية فصلية محكمة

يصدرها معهد الدراسات الأفروآسيوية للدراسات العليا

جامعة قناة السويس

العدد الثالث (يناير – فبراير - مارس ٢٠٢٣)

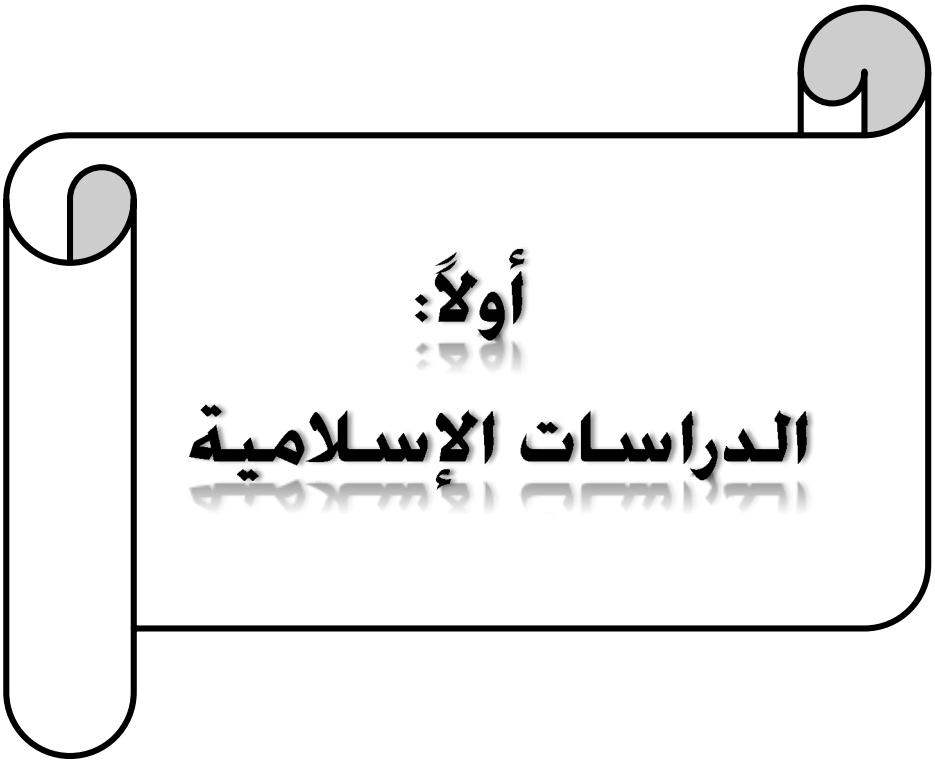
أولاً:
الدراسات الإسلامية

أثـــر مبدأ الإلزام في الاستدلال على وجـــود الله تعالى عند الإمام فخر الدين الرازي

إعـــداد الباحثة/ عبير أحمد مصطفى أحمد

الملخـــص

هدف البحث لبيان أثر مبدأ الإلزام في الاستدلال على وجـــود الله تعـــالى عنـــد الإمـــام فخر الدين الرازي، وقد ظهر أن الإمام فخر الدين الـــرازي اســـتطاع توظيـــف العلـــوم المختلفـــة لخدمة كتاب الله تعالى ومعالجة بعض الأدلة لتقويتها والربط عليها من خـــلال المنـــهج الإلزامـــي، وهو ما جعل للإمام الرازي مكانة كبيرة في الفكر الإسلامي، حيث لاقـــت أفكـــاره قبـــولاً لـــدى من جاء بعده، فانتشرت مصنفاته، وتلقفها العلماء، وحرصوا على مدارســـتها، كمـــا ظهـــر تميـــز الإمام فخر الدين الرازي في مبـــدأ الإلـــزام، وذلـــك بتنـــاول الاحتمـــالات الممكنـــة في مســـألة حدوث العالم، والتي لم يتطرق إليها أحد قبلـــه، ثم تنـــوع طـــرق الاســـتدلال، وعـــرض الشـــبه ومناقشتها، وهو ما وقع منه الاستفادة وحصل معه التحصيل، حيـــث اســـتطاع الإمـــام توظيـــف مبدأ الإلزام بطريقة عقلية مستمدة من نصوص الشريعة الإســـلامية لـــدحض أي شـــبهة تشـــكك في وجوده جلّ علاه، وقد خرج البحث بمجموعة من التوصـــيات منـــها ضـــرورة العمـــل علـــى نشر الفكر الإسلامي الوسطي للإمام الرازي في المجتمعات الإســـلامية عامـــة، وجمهوريـــة مصـــر العربية خاصة؛ لمواجهة الفكر المتطرف الدخيل علـــى الإســـلام، وذلـــك مـــن خـــلال وســـائل الإعلام، خاصة وسائل التواصل الاجتماعي، والفضـــائيات المصـــرية. وضـــرورة إقامـــة نقاشـــات علمية دورية يكون هدفها دراسة منهج الإمام فخر الـــدين الـــرازي وقـــراءة مصـــنفاته، ليســـتفيد الباحثون من أستاذة الأقسام المختصين، وبالتالي يحدث تأثرًا معاصرًا بأفكـــار الإمـــام فخـــر الـــدين الرازي، فتنهض الأمة علميًا وفكريًا، أضف إلى ذلـــك توظيـــف منهجيـــة الإمـــام فخـــر الـــدين الرازي في تجديد الخطاب الديني، فالإمام استخدم كـــل المنـــاهج المتاحـــة في مخاطبـــة الجمهـــور، فصنف (المسائل الخمسون، والإشارة، والمعالم، ...وغيرها) بأســـلوبٍ ســـهل يفهمـــه العامـــة، ثمّ صنف (الأربعين، ونهاية العقول، والمطالب العالية...وغيرها) للخاصة والباحثين.

الكلمات المفتاحية: مبدأ – الإلزام – الاستدلال – وجود الله تعالى – الإمام فخر الدين الرازي

Abstract

The aim of the research is to show the effect of the principle of compulsion in inferring the existence of God Almighty in Imam al-Razi, and it appeared that Imam al-Razi was able to employ various sciences to serve the Book of God Almighty and treat some evidence to strengthen it and link it to it through the obligatory approach, which is what made Imam al-Razi a great place in Islamic thought , where his ideas were accepted by those who came after him, so his works spread, and scholars seized them, and were keen to study them, and the distinction of Imam Al-Razi appeared in the principle of obligation, by dealing with the possible possibilities in the issue of the occurrence of the world, which no one before him addressed, and then the diversity of methods of inference, The resemblance was presented and discussed, which is what benefited from it and obtained with it the achievementAnd this is the approach of renewal and expansion, as the imam was able to employ the principle of compulsion in a rational way derived from the texts of Islamic law to refute any suspicion that doubts his quality, the Almighty. The Arab Republic of Egypt in particular; to confront the extremist ideology alien to Islam, through the media, especially social media, and Egyptian satellite channels. And the necessity of holding periodic scientific discussions whose goal is to study the method of Imam Al-Razi and read his works, so that researchers benefit from the specialized professors of the departments, and thus have a contemporary influence on the ideas of Imam Al-Razi, so that the nation rises scientifically and intellectually, in addition to that employing the methodology of Imam Al-Razi in renewing religious discourse. Available in addressing the public, he classified (The Fifty Issues, Signaling, Milestones, and others) in an easy-to-understand manner for the public, then categorized (The Forty, The End of Minds, The High Demands...etc) for the elite and researchers.

Keywords: principle - obligation - inference - the existence of God Almighty - Imam al-Razi

تـــوطـــئـــة

يعتبر الإمام فخر الدين الرازي من أئمة أهل السنة والجماعة الذين كان لهم باعا طويلا في علوم العقيدة والفلسفة الإسلامية، وقد أسس الإمام فخر الدين الرازي لمدرسة فكرية تجمع بين علم الكلام والفلسفة؛ لخدمة العقيدة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، حتى إن مباحث الإلهيات لا تأخذ من الكتاب الواحد منها إلا جزءًا صغيرًا في آخر الكتاب، والباقي كله مقدمات منطقية وطبيعية وفلسفية، فكان بذلك متميزًا عن غيره بمناهج متعددة لخدمه العقيدة الإسلامية، ومن أبرز تلك المناهج منهج الإلزامات فللملازمة أصول حصرها الإمام فخر الدين الرازي في ملازمة السبب و المسبب، وملازمة الحال والمحل، وملازمة الدليل للمدلول.

وقد ذكر العلماء أن الإمام فخر الدين الرازي كان مجددًا في جمعه بين علم الكلام والفلسفة، فهو أول من استعار جزئيات في علم الكلام من الفلسفة، كالوحدة والكثرة، والزمان، والماهية والهوية، وغيرها، فأخضع بهذا مسائل الفلسفة لعلم الكلام، حتى صارت من لواحق هذا العلم الديني، وتأثر بهذا من أتى بعد الإمام، حتى غزت الفلسفة سائر العلوم.

وقد احتلت مسألة وجود الله تعالى أهمية كبيرة عند المتكلمين بصفة عامة والإمام فخر الدين الرازي بصفة خاصة، فلا نكاد نرى كتابًا كلاميًا إلا ويبدأ مؤلفه بمسألة الحدوث، سواءً بالدخول إليها مباشرةً، أو بالتأسيس لها عن طريق البدء بالأمور العامة[١].

ولا يخفى أن سبب اهتمام العلماء بمسألة وجود الله تعالى هو ما يترتب عليها من مسائل العقيدة الأخرى، كإثبات وجود الباري – سبحانه وتعالى –، ومخالفته لسائر الحوادث، بجانب إثبات كافة صفات له جلّ علاه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]، كذلك قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلم–: (كان الله ولا شيء معه)[٤]، وكذا ما يترتب عليها من النبوات كإثبات نبوة الأنبياء، والمعجزات، وكذا ما يترتب عليها من مسائل السمعيات، كإثبات المعاد، والحشر، والجنة والنار ... إلى آخره.

ويعد الإمام فخر الدين الرازي من أبرز العلماء الذين فصّلوا القول في مسألة حدوث العالم، بطريقته الخاصة، المميزة عن سائر العلماء من خلال مبدأ الإلزام[٥]، فتارة نجده يستعين بآراء العلماء السابقين، ويعتمد أدلتهم بالإضافة لتطويرها، وتارة نراه ينفرد بحجج وأدلة جديدة كالربط بين الزمان والحركة والأجسام، والوحدة والكثرة، والحركة والسكون...وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أن لقب الرازي أطلق على علماء عدة منهم أبو بَكر مُحَمَّد بن يَحْيَى بن زَكَرِيّا الرَّازِيّ (٢٥٠ هـ/٨٦٤ م – ٥ شعبان ٣١١هـ/١٩ نوفمبر ٩٢٣م) طبيبٌ وكيميائي وفيلسوف ورياضيّاتيٌّ، كذلك قطب الدين الرازي (٦٩٤ – ٧٦٦ هـ / ١٢٩٥ – ١٣٦٥ م) هو عالم بالحكمة والمنطق، من أهل الري.

أما الإمام فخر الدين الرازي – موضوع البحث – فهو هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين القرشي الطبرستاني البكري، الإمام المفسر المتكلم، وحيد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، أصله من طبرستان، ولد في الرّي في ٢٥ رمضان من سنة (٥٤٢هـ/١١٤٨م)[٦].

ونظرا لأهمية هذا الموضوع سوف نتناول أثر مبدأ الإلزام في الاستدلال على وجود الله تعالى عند الإمام فخر الدين الرازي.

أولاً: أهمية الموضوع:

١- الوقوف على براعة الإمام المنهجية في تناوله لمسائل العقيدة والشريعة، ومن مظاهر هذه المنهجية تمكنه من مبدأ الإلزام.

٢- كان للإمام آراء عقلية خاصة لا تدرك بسهولة؛ لأنها تأتي بعد تلخيصات مفصلة، وتفسير واسع لأقوال المخالفين، وقد نبه الإمام إلى صعوبة تلك الآراء على العامة، وسهولتها على العلماء المتخصصين؛ لذا كان من الأهمية بمكان الوقوف على هذه الآراء.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

١) بيان إبداع الإمام في توظيف ملكاته العقلية لخدمة العقيدة.
٢) دحض دعوى جمود الفكر الفلسفي الإسلامي.
٣) بيان معالجة الإمام فخر الدين الرازي وموقفه من المسائل الخلافية، خاصة بما يتعلق بالتبديع والتكفير.

ثالثًا: الأهـــداف:

١) التأكيد على أن الإمام فخر الدين الرازي، وظف ملكاته الفكرية في العديد من المناهج العلمية، وهو بذلك الفكر تجاوز حدود الزمان والمكان.
٢) بيان كيف استطاع الإمام فخر الدين الرازي توظيف العقل لخدمة العقيدة، مما ترتب عليه معالجة بعض الأدلة، مثل ربطه بين دليل الحدوث بالإمكان ؛ للخروج بدليل واحد لإثبات الصانع.
٣) التأكيد على أن التراث الإسلامي زاخر بالإبداع والابتكار.
٤) التأكيد على أن العقل البشري له حدود يقف عندها، ولا يمكن له أن يتجاوزها.

رابعًا: المشكلة البحثية:

الملاحظة الدقيقة الفاحصة لمصنفات الإمام فخر الدين الرازي ، تحتاج بذل مزيد من الجهد بغية الوقوف على مدى الأثر والتأثر لدى الإمام.

١- وجود مخطوطات عديدة من مؤلفات الإمام فخر الدين الرازي وتلاميذه لم تحقق بعد، وهو ما يمثل مشكلة بحثية تتمثل في بذل الجهد للوصول لهذه المخطوطات.

٢- إن المكتوب في هذا الموضوع يمثل حجر زاوية، لكن عمليتي "التحليل والتوظيف" تحتاجان مجهودًا كبيرًا.

خامسًا: منهج الدراسة:

اتبعنا في هذا البحث المنهج التحليلي، حيث يهتم هذا المنهج بالتجزئة والتفاصيل الدقيقة، كمرحلةٍ مهمةٍ لإيجاد قرائن وبراهين تخص المسائل المبحوثة، ومن خلال تبنِّي مبدأ الموضوعية، الذي يأتي في مقدمة مقومات البحث العلمي المنضبط، بالإضافة للمنهج النقدي، والمنهج المقارن.

سادسًا: هيكلية البحث:

من أجل تحقيق هدف البحث وغايته تم تقسيمه إلى:

أولًا: مفهوم حدوث العالم.

ثانيًا: مذاهب الناس في مسألة حدوث العالم.

الخاتمة وفيها: أهم النتائج، وأبرز التوصيات.

أولًا: تحديد المفاهيم وتحرير المصطلحات:

إذا نظرنا إلى الخطوات التي اتبعها الإمام فخر الدين الرازي في الاستدلال على وجود الله تعالى بمبدأ الإلزام نجده بدأ بطريقة مسألة حدوث العالم وهي دليل متشعب جدًا، وذلك من جهاتٍ كثيرة، أبرزها طُرق تقرير حدوث العالم، والمقدمات واللوازم، والآثار المترتبة، حيث بدأ الإمام بتحديد مصطلح الحدوث، ثم تحرير محل النزاع، واستقصاء المذاهب القائلة بقدم العالم والممثلة في الفلاسفة، والدهريين، والطبعيين، وهو نفس تقسيم حجة الإسلام الإمام الغزالي للفلاسفة القائلين بقدم العالم، حيث صنفهم إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الدهريون، وهم الذين جحدوا الصانع، وهؤلاء هم الزنادقة.

الصنف الثاني: الطبيعيون، وهم اعترفوا نتيجة كثرة اشتغالهم بعلم التشريح، بوجود فاطر حكيم مطلع على غايات الأمور وأبعادها.

الصنف الثالث: الإلهيون، المتأخرون من الفلاسفة، أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو، وهؤلاء ردّوا على الصنفين الأولين[٧].

ثمّ ينتقل الإمام فخر الدين الرازي إلى تقرير مذاهب علماء المسلمين في حدوث العالم، فبرغم اختلاف طرق الاستدلال لدى علماء المسلمين إلا أن النتيجة واحدة، يقول الإمام: (مذهب جملة المسلمين أن العالم محدث)[٨]، ثم شرع الإمام في الاستدلال على حدوث العالم لإثبات وجود الله تعالى من جهات إلزامية مختلفة، بجانب استقصاء المذاهب المخالفة، ومناقشتها.

وطبقًا لمنهج الإمام فخر الدين الرازي في تناول مسألة حدوث العالم، ستبدأ الباحثة بتحديد مفهوم (اللزوم) ثم مفهوم (الحدوث) في اللغة والاصطلاح، حيث أكد الإمام على أهمية تحديد مفهوم (الحدوث) قبل الشروع في الأدلة[٩]، ثم بيان أبرز نقاط الاستدلال التي انفرد بها الإمام فخر الدين الرازي، وذلك على النحو الآتي:

١- مفهوم اللزوم:

أ- الإلزام في اللغة:

وردت مادة الكلمة (ل . ز. م) في اللغة العربية علي عدة معانٍ أبرزها:

جاء في لسان العرب الإلزام بمعنى الدوام[١٠] تقول العرب فلان أدام عطاياه علي الفقراء فلم تنقطع، والمعني أنه التزم تلك العطايا حتى صارت جزءًا من عاداته رغم أنه كان يمكنه التخلي عنها، وعلاقة هذا المعني بالإلزام أن الذي يقبل التسليم بالمقدمات يجد نفسه مضطراً لقبول النتائج حيث لا يكون هناك من سبب يسمح له بالخروج علي ما أدام واعتاد القيام به.

جاء في تاج العروس الإلزام بمعنى إقامة الحجة[١١] ذكرت مصادر اللغة العربية قولها: أن فلاناً ألزم صاحبه ما كان ينوي التهرب منه ولا يحاول الاعتراف به.

جاء في المعجم الوسيط الإلزام بمعنى الثالث: الوجوب[١٢]، يقال: فلان طعن فلانا فوجب عليه القصاص والدية، يريدون أنّه ألزم نفسه لمّا خرجت على القواعد العامة العُرم، وتحمُّل أثار الجُرم، فلا حياة له ما لم يلتزم بأداء ما وجب عليه[١٣].

وعلاقة هذا المعنى بالإلزام أن صاحب المقدمات المنتزعة من مظنونات لا تقوم على برهان يكون من السهل اجتثاثها، ومهما كان صاحب عقل يزعم أنّه سليم فلن يجد إلا جدارًا يريد أن ينقض، ولكنه ينظر إليه نظرة ما لا يستطيع إقامته.

جاء في القاموس المحيط الإلزام بمعنى المعتقد(١٤)، يقال: فلان لّما رأى الكعبة اعتنقها، يقصدون أنّه وضع عنقه بجوارها، كأنّه تناسى هذا العنق من جمال ما رأى، وقوة ما إليه سرى، وهو شعور يدركه المسلم إذا كان يلتمس مشارب النور(١٥). وقال الشيخ المقري(١٦): (يقال لما بين باب الكعبة والحجر الأسود الملتزم، لأنّ الناس يعتنقونه، حيث يضمونه إلى صدورهم، أو يضمون صدورهم إليه)(١٧).

وعلاقة هذا المعنى بالإلزام أنّ من يتمكن من صاحبه، ويقطع عليه حججه وشبهه، كأنّه وضع عنقه بين يديه، ثم اعتنقه بحيث يستطيع تقييد حركته، وإذا شاء القضاء عليه فعل.

جاء الإلزام بمعنى وقوع الغرم(١٨) ذكرت مصادر العربية قولها: فلان تجاهل حقوق زوجه حتى دفعتها نفسها إلى الانفصال عنه، فلزمه الغرم بطلاقها منه: يريدون أنّه الذي وصل إلى تلك النتيجة بإهماله استدراك الأمور قبل فواتها.

وعلاقة هذا المعنى بما نحن فيه، أنّ من جادل بغير علم وقع في حرج شديد ولزمه التواري عن أهل الفضل، بدل أن كان محسوبا فيهم، فوقع عليه الغرم، وهو خسارته عن ملاقاتهم، كما وقع عليه الجرم الذي اندفع به في غير موضعه.

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة الإلزام الغلبة(١٩) تقول العرب: فلان تحاجّ مع خصمه، و لم يكن من أهل اللبابة والفطانة، فألزمه خصمه بما أعجزه عن دفعه وهو غلبته بالحجة(٢٠)، وعلاقة هذا المعنى بالإلزام أنّ صاحب القول الحق مهما كان أمره فإنّه يستطيع غلبة خصمه متى كان قادرًا على إبراز حجته، وتوظيفها بغض النظر عن كون الحجة شرعية، أو عقلية، أو أخلاقية، أو أدبية أو غيرها؛ لأنّ ذلك مما هو قائم في القدرات العقلية، والمعارف الإنسانية.

ورد في المصباح المنير الإلزام بمعنى التعلق[٢١] تقول العرب: فلان أخذ بعناق غريمه فلم يفلته حتى أخذ حقه منه، و لم يعد للغريم سبب يعتمد عليه.

وعلاقة هذا المعنى بالإلزام أنّ صاحب القول السديد يتعلق بخصمه فلا يتركه حتى يقر له بالغلبة والانتصار عليه: وذلك مما تقتضيه طبيعة الإلزام على أي نحو كان.

من جملة ما سبق تبين أن معاني الإلزام في اللغة متعددة، وهي بحاجة إلى تعريف يؤلف بينها، ويقارب أجزاءها، بحيث يقدم صورة لما يمكن تسميته الإلزام من الناحية اللغوية، فما هو هذا التعريف ؟

وذكر علماء اللغة فائدتين للزوم:

الفائدة الأولي: "اللزوم والإلزام عند الفقهاء: مستعمل بعرفهم في الواجب والفرض لا غير، فيكون وصفًا للواجب بمعنى الملازمة التي هي نقيض المفارقة في حقيقة اللغة"[٢٢].

الفائدة الثانية: مما ورد في القرآن في قوله تعالى ﴿**فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً**﴾[٢٣] جاء في تفسير عن جماعة عني به يوم بدر، جاء أنه لوازم بين القتلى لزامًا، وتأويله: فسوف يكون تكذيبكم لازمًا يلزمكم، فلا تعطون التوبة، وتلزمكم به العقوبة، فيدخل في هذا يوم بدر وغيره مما يلزمهم من العذاب[٢٤].

ب- الإلزام في الاصطلاح:

لم أقف بحسب ما وقفت عليه من أثار السابقين، على حد فاصل للإلزام، غير بعض الإشارات الخاطفة. وممن عرّف "الإلزام" ابن النجار[٢٥] حيث قال: إنه انتهاء دليل المستدل إلي مقدمات ضرورية، أو يقينية مشهورة، يلزم المعترض الاعتراف بها، ولا يمكنه الجحُود، فينقطع بذلك، فإذاً الإلزام من المستدل للمعترض، والإفحام من المعترض للمستدل"[٢٦].

وهذا الحد وإن وقع علي بعض معاني الإلزام، وهو إيقاف المعترض علي مقدمات ضرورية، أو يقينية مشهورة يلزم الاعتراف بها، غير أنه خصه ببعض صور المناظرة، وهو ما كان من السائل علي المعترض، وأما ما كان من المعترض فإنه سماه بالإفحام. هذا أمر، الأمر

الآخر: أنه قصره عل المقدمات الضرورية أو اليقينية المشهورة، وما نحن بسبيله، وشارعين في بحثه، أوسع دائرة، فإنا نقصد كل ما سلم به المخالف، ولو لم يكن من المقدمات الضرورية اليقينية المشهورة.

٢- مفهوم الحدوث:

أ-الحدوث في اللغة:

وردت مادة الكلمة (ح. د. ث) في القرآن الكريم سبعة وثلاثون مرة[٢٧]، منها قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾[٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾[٣٠].

وكما وردت مادة الكلمة في القرآن الكريم في عدة مواضع، كذلك وردت في مصادر اللغة على عدة معانٍ، أبرزها:-

نقيض القديم، يقال: (حدث (حُدوثا)، بالضم، (وحَداثة) بالفتح: (نقيض قدم)، والحديث: نقيض القديم، والحدوث: نقيض القدم)[٣١].

وتطلق مادة الكلمة (ح. د. ث) على وجود شيء من عدم، يقال: (أحدث الله الشيء فحدث، وحدث أمر، أي وقع)[٣٢]، كما تطلق على القرب، تقول العرب: (هؤلاء حدثاء العهد بالإسلام، والمراد به: قرب عهدهم بالكفر والخروج منه والدخول في الإسلام)[٣٣].

كذلك يطلق لفظ الحدوث على (الوقوع، والحصول، والابتكار، والانقلاب، يقال: أحدث أثرًا، أي: كان له تأثير متَّسم بالإعجاب والدَّهشة)[٣٤].

ب- الحدوث في الاصطلاح:

تنوعت التعريفات الاصطلاحية للحدوث، وبرغم التنوع يبدو أن هناك قاسمًا مشتركًا اتفق عليه العلماء وانطلقوا منه نحو تعريف مصطلح الحدوث، وهذا القاسم المشترك هو المسبوقية بالغير، فالحادث بالمفهوم العام الاصطلاحي لا بد أن يكون مسبوقًا بغيره، ثم اختلفت طرق العلماء في بيان تلك المسبوقية؛ لذا جاءت أبرز التعريفات الاصطلاحية على النحو الآتي:

عرَّف الإمام فخر الدين الرازي الحدوث بأنه: (المسبوقية بالغير، ثمّ إما أن يكون ذلك السابق عدمًا أو وجودًا، فإن كان عدمًا فحينئذٍ يقال: إن المحدث هو الذي يكون وجوده مسبوقًا بالعدم، وإن كان السابق وجودًا فحينئذٍ يقال: إن المحدث هو الذي سبقه وجود شيء آخر)[٣٥].

كما ذهب الإمام التفتازاني (٧٢٢هـ - ٧٩٢هـ) إلى أن الحدوث بالمعنى العام: هو المسبوقية بالغير، ثمّ قسم الحدوث إلى حدوث حقيقي وحدوث إضافي، وبين أن (الحدوث الحقيقي هو المسبوق بالغير، ويسمى ذاتيًا، أما الإضافي كون ما مضى من زمان وجود الشيء أقل)[٣٦].

والواضح من تعريف وتقسيم كل من الإمام فخر الدين الرازي والتفتازاني للحدوث أن الحدوث الحقيقي (الذاتي) يأتي في مقابلة الحدوث الإضافي المبني على الزمان، وبالتالي يكون الحدوث الإضافي المقصود هو الحدوث الزماني.

كذلك ذهب علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجُرجاني (٧٤٠ هجرية) - صاحب معجم التعريفات وهو بخلاف عبد القاهر الجُرجاني (٤٠٠ هجرية) - في تعريفه للحدوث بأنه: (عبارة عن وجود في الشيء بعد عدمه، والحدوث الذاتي: هو كون الشيء مفتقرًا في وجوده إلى الغير، والحدوث الزماني: هو كون الشيء مسبوقًا بالعدم سبقًا زمانيًا، والأول أعم مطلقًا من الثاني)[٣٧].

٣- مفهوم العالم:

أ- في اللغة:

وردت مادة الكلمة (ع. ل. م) في القرآن الكريم حوالي سبعمائة وتسع وسبعين مرة[٣٨] منها قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٠].

كما وردت مادة الكلمة في اللغة العربية العديد من المعاني، من أبرزها:

ذهب علماء اللغة أن لفظ العَالم يطلق على الخلق في حالة الإفراد، وفي حالة الجمع يطلق على أصناف الخلق[٤١]، والعالم: كل شيء سوى الله تعالى[٤٢]، وفي لسان العرب: (العالم: كل ما خَلَق الله تعالى)[٤٣].

والعالم يطلق على (كل صنف من أصناف الخلق، إحدى مجموعتين كبيرتين، هما عالم النبات وعالم الحيوان، اللذان يشملان الكائنات الحية جميعها)[٤٤]، والوضح من خلال المعاني اللغوية للفظ (عَالَمْ) أنه يطلق على : كل شيء من المخلوقات وأصنافها، وبالتالي فهو كل ما سوى الباري جلّ علاه.

ب- في الاصطلاح:

عرف ابن سينا العالم بأنه: (مجموع الأجسام الطبيعية البسيطة، ويقال: عالم لكل جملة موجودات متجانسة، كقولهم: عالم الطبيعة، وعالم النفس، وعالم العقل)[٤٥].

والبين من تعريف ابن سينا للعَالَمْ أنه يطلق في الاصطلاح الفلسفي على معنيين:

١- **المعنى العام:** وهو مجموع الأجسام الطبيعية البسيطة.
٢- **المعنى الخاص:** جملة الموجودات التي تكون من جنس واحد[٤٦].

أما الإمام فخر الدين الرازي فقد ذكر تعريف العالم بعد تقسيم الموجود ونسبة العالم لقسمه، فيقول: (اعلم أن الموجود إما أن يكون واجبا لذاته، وإما أن يكون ممكنا لذاته، أما الواجب لذاته فهو الله تعالى فقط، وأما الممكن لذاته فهو كل ما سوى الله تعالى وهو العَالَمْ؛ لأن المتكلمين قالوا: العالم كل موجود سوى الله، وسبب تسمية هذا القسم بالعالم أن وجود كل شيء سوى الله يدل على وجود الله تعالى، فلهذا السبب سمي كل موجود سوى الله بأنه عالَمْ)[٤٧]، وهنا يظهر تميز الإمام في تعريفه بالعالم، حيث اعتمد التقسيم العقلي للموجود، واسند العالم لقسم الممكن، ثمّ بين أنه كل ما سوى الله تعالى، وأخيرًا أوضح سبب تسمية المتكلمين له بالعالم، فربط بين العَالِم كصفة، والعَالَمْ كموجود ممكن، هو ما يتوافق مع بنية الكلمة اللغوية.

وبناءً عليه فالإمام فخر الدين الرازي اتبع منهجًا دقيقًا في التعريف الاصطلاحي للحدوث، فبدأ بتحرير المصطلح، وبين أن المراد به هو المسبوقية بالغير، ثم شرع في تحديد وتحرير مصطلح العالم، وبين أن المراد بالعالم (كل ما سوى الله – تعالى–)[٤٨].

ثانيًا: مذاهب الناس في مسألة حدوث العالم.

بعد تحديد مصطلحات (الحدوث، والعالم) وتحريرها انتقل الإمام فخر الدين الرازي إلى استقصاء المذاهب في مسألة الحدوث والقدم، من خلال الاحتمالات العقلية الممكنة، ثمّ نسبة كل احتمال إلى المذهب القائل به، مع تصوير رأي كل مذهب بموضوعية، يقول الإمام: (العالم إما أن يكون محدثًا بمادته وصورته، وإما أن يكون قديمًا بمادته وصورته، وإما أن يكون قديمًا بمادته ومحدثًا بصورته، وإما أن يكون محدثًا بمادته وقديمًا بصورته، وإما أن يتوقف في هذه الأقسام، فهذه هي الأقسام الممكنة في هذا الباب)[٤٩].

ثم بين الإمام فخر الدين الرازي المذاهب القائلة بتلك الأقسام، وشرح رأي كل مذهب، فأصحاب القسم الأول القائلون بأنه: محدث بمادته وصورته هم أصحاب الملل، وأصحاب القسم الثاني القائلون: بأن العالم قديم بمادته وصورته هو قول: أرسطا طاليس وأتباعه من المتقدمين والمتأخرين، ومنهم أبو نصر الفارابي، وأبو علي ابن سينا، وأصحاب

القسم الثالث القائلون: بأن العالم قديم بمادته ومحدث بصورته، فهو قول: أكثر الفلاسفة قبل أرسطا طاليس.

أما القسم الرابع القائلون بأنه: محدث بمادته وقديم بصورته، لم يقل به أحد؛ لأنه معلوم الفساد ببداهة العقل، وذكره الإمام من باب الإمكان، فربما يتبناه مذهب في المستقبل؛ ولأنه قسم يندرج تحت المقسم ولا يستقيم التقسيم المنطقي إلا بذكره.

وصاحب القسم الخامس القائل بالتوقف وعدم القطع في المسألة هو: (جالينوس فإنه يروى عنه أنه قال في مرضه الذي توفى به لبعض تلامذته: اكتب عني، أني ما عرفت أن العالم محدث أو قديم، وأني ما عرفت أن النفس هو المزاج، أو شيء آخر غير المزاج)[٥٠].

ثالثًا: أساليب مبدأ الإلزام في الاستدلال على حدوث العالم:

تنوعت أساليب الاستدلال على حدوث العالم عند الإمام فخر الدين الرازي، فنراه يصور مسالك كلامية في إثبات حدوث العالم[٥١]، ويقيم أدلة منطقية إلزامية قائمة على مقدمات ونتائج[٥٢]، بجانب طرق الاستدلال التي اعتمد فيها على التقسيمات والإلزامات العقلية[٥٣].

ومن أبرز الطرق التي اتبعها الإمام فخر الدين الرازي لإثبات الحدوث، هي تقسيم العالم إلى جواهر وأعراض، حيث تقرر أن العالم كل ما سوى الله – تعالى-، وكل ما سوى الله – تعالى – ممكن، هذا الممكن (إما أن يكون قائما بنفسه أو قائما بغيره، والقائم بنفسه إما أن يكون متحيزًا أو لا يكون متحيزًا، والمتحيز إما أن لا يكون قابلًا للقسمة وهو الجوهر الفرد، أو يكون قابلًا للقسمة وهو الجسم، والقائم بالنفس الذي لا يكون متحيزًا ولا حال في المتحيز هو الجوهر الروحاني...، أما القائم بالغير فهو العرض)[٥٤].

ونظرًا لتعدد مسالك الإمام فخر الدين الرازي، وتقسيماته في الاستدلال على حدوث العالم، ستذكر الباحثة أبرز المسالك، والتقسيمات التي اتبعها الإمام فخر الدين الرازي لإثبات الحدوث، وسيكون ذلك على النحو الآتي:-

المسلك الأول: الإلزام في الاستدلال بحدوث الجواهر والأعراض:

وصف الإمام فخر الدين الرازي هذا المسلك بأنه: (الطريقة المبسوطة المشهورة)[٥٥]، أي أن هذه الطريقة المشهورة لدى المتكلمين بصفة عامة، يقول القاضي عبد الجبار(ت٤١٥هـ)[٥٦]: (فإن قيل ما الدليل على أن نفسك وسائر الأجسام حادثة؟ قيل له: لأنها لا تخلو من الحركة والسكون، والمفارقة والمجاورة، وهذه كلها حوادث، فما لم يخلو منها فيجب أن يكون محدثًا)[٥٧] ويقول الإمام الغزالي (٥٠٥هـ)[٥٨]: (كل جسم لا يخلو من الحوادث؛ لأنه لا يخلو من الحركة والسكون، وهما حادثان)[٥٩].

ويرى بعض الباحثين أنه برغم كون هذه الطريقة في إثبات حدوث العالم مشهورة بين المتكلمين إلا أن (الإمام فخر الدين الرازي أضاف إليها بعض التفصيلات التي رأيناها حجة في الحركة والسكون، ولا يعزوها لنفسه بل يسندها إلى القائلين بالحدوث، وتلك أمانة علمية؛ لأنه يشعر أن ما قام به من التطوير لا يخرج عن الهيكل العام للحجة الأصلية)[٦٠].

أما عن تقرير المسلك الأول فيقول الإمام: (إن الأجسام لا تخلو من الحوادث، وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فالأجسام حادثة، وبيان أنها لا تخلو عن الحوادث أنها لا تخلو عن الأكوان[٦١]، والأكوان حادثة، فالأجسام لا تخلو عن الأكوان)[٦٢].

وبعد تقرير المسلك انتقل الإمام فخر الدين الرازي إلى الاستدلال على المقدمات من خلال إثبات الأكوان (الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق)[٦٣]، ثم بيان استحالة خلو الأجسام عنها، وأخيرًا حدوث الأكوان الذي يترتب عليه حدوث الأجسام، وذلك على النحو الآتي:-

١- إثبات الأكوان:

استخدم الإمام فخر الدين الرازي مصطلح (كون) للتعبير عن الحوادث، متأثرًا باستخدام الحكماء لهذا المصطلح أثناء استدلالهم على إمكان العالم، فالكون عندهم مرادف الوجود المطلق العام، ويطلق على وجود العالم من حيث هو عالم لا من حيث هو حق، أو على العالم من جهة ما، و ذو نظام محكم[٦٤].

ذهب الإمام فخر الدين الرازي إلى أن إثبات الأكوان يكون (بدعوى العلم الضروري بكونها زائدة على ذات الجسم؛ لأن المفهوم من المتحيز مغاير للمفهوم من حصوله في الحيز، وإما أن ندعي الاستدلال فيه؛ وذلك لأن الجسم لم يكن متحركاً، ثمّ صار متحركاً فتبدل الحالين عليه مع بقاءه مدرك بالحس، والمتبدل غير المستمر الذي هو ذات الجسم)[٦٥].

٢-استحالة خلو الأجسام عن الأكوان:

يؤكد الإمام فخر الدين الرازي على امتناع انفكاك الجسم عن الأكوان، وأن (هذا الامتناع ظاهر؛ لأن الجسم متى كان موجودًا كان متحيزًا، ومتى كان متحيزًا كان حاصلًا في الحيز؛ فإذن يمتنع خلوه عن الحصول في الحيز، ولا نعني في الأكوان إلا ذلك)[٦٦].

وبناءً عليه تكون الأكوان المتمثلة في الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق أمور زائدة عن الجسم، فلو كان أحد هذه الأوصاف داخلة في حقيقة الجسم لوجب اتصاف الجسم بها دائمًا، والعلم الضروري يجزم باستحالة اجتماع الشيء ونقيضه في آنٍ واحد، وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي أن (الجمع بين الضدين أو النقيضين ممتنع لعينه ولذاته)[٦٧]، من ناحية أخرى لا يوجد جسم إلا ويتصف بأحد هذه الأكوان، لأن الجسم متحيز والمتحيز لا يخلو من الحركة، أو السكون، والاجتماع أو الافتراق، وبالتالي فإن الإمام فخر الدين الرازي في إثباته للأكوان اعتمد على الوصف اللازم للأجسام من جهة التحيز ولوازمه.

٣-حدوث الأكوان.

تعد مسألة حدوث الأكوان هي النتيجة المترتبة على المقدمات السابقة في المسلك الأول، حيث يترتب عليها حدوث الأجسام، هذه النتيجة هي (أن كل كون فإنه يصح عليه العدم، وكل ما يصح عليه العدم امتنع عليه القدم)[٦٨]، وبالتالي كل ما امتنع عليه القدم فهو حادث، وما دامت الأكوان لا تنفك عن الأجسام فتكون الأجسام كذلك حادثة.

المسلك الثاني: الاستدلال بالوصف اللازم للأجسام:

استدل الإمام فخر الدين الرازي في هذا المسلك على حدوث العالم بحدوث الأجسام من خلال الوصف اللازم لها، وهو المتردد بين العدم والثبوت، يقول الإمام فخر الدين الرازي : (الجسم لوكان قديمًا لكان قدمه إما أن يكون وصفًا عدميًا أو ثبوتيًا، والقسمان باطلان، فبطل القول بقوله قديمًا)[٦٩]، ثم بين استحالة أن يكون الجسم قديمًا لما يترتب عليه من إلزامات عقلية، منها:

١- لزوم التسلسل والجمع بين المتناقضين: فلو كان الجسم عدميًا (لكان الحدوث الذي يناقضه وصفًا ثبوتيًا، ولو كان كذلك لكان ذلك الوصف إما أن يكون حادثًا، فيكون حدوثه زائدًا عليه فيلزم التسلسل، وأما أن لا يكون حادثًا بل قديمًا، فيكون الوصف المحتاج ثبوته إلى ثبوت الحادث قديمًا، وهو محال)[٧٠].

٢- انعدام الجسم والوصف إذا كانا عدميين، لأن الشيء في العدم لا يوصف إلا بالعدم.

المسلك الثالث: الإلزام بطريق السبر والتقسيم المنطقي[٧١]:

هو من أهم أدوات الاستدلال التي اعتمد عليها الإمام فخر الدين الرازي، بل ووظفها بدقة عالية، فقد وصف ياقوت الحموي[٧٢] الإمام الرازي وجهوده في السبر والتقسيم بأنه: (كان يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها، وقسمة فروع ذلك التقسيم، ويستدلّ بأدلّة السبر والتقسيم، فلا يشذّ منه عن تلك المسألة فرع لها به علاقة، فانضبطت له القواعد وانحصرت معه المسائل)[٧٣].

وقد أكد الإمام فخر الدين الرازي على شرط التقسيم في أن يكون منحصرًا بين النفي والإثبات في حالة التقسيم العقلي؛ لأنه في حالة عدم انحصاره يبطل سبر الأقسام، فلا يلزم من بطلان بعضها أن يكون الباقي صحيحاً، بل لعل الصحيح قسم ثالث لم يذكر[٧٤].

ومن أبرز وجوه الاستدلال بالسبر والتقسيم عند الإمام فخر الدين الرازي في إثبات حدوث العالم ما يأتي:-

١- أقسام الموجودات[٧٥]:

استخدم الإمام فخر الدين الرازي التقسيم الاستقرائي للموجودات لإثبات حدوثها، فقال: (إنه لا شك في وجود الموجودات، فهي إما أن تكون بأسرها ممكنة، وإما أن تكون بأسرها واجبة، وإما أن تكون بعضها ممكنة، وبعضها واجبة)[٧٦]، وباستقراء هذه الأقسام يجزم العقل بانحصار الموجودات بها، وبالتالي فالتقسيم صحيح لا يتطرق إليه شك[٧٧]؛ لذا بدأ الإمام فخر الدين الرازي استدلاله بقوله (لا شك).

ثم شرع الإمام فخر الدين الرازي في سبر أقسام الموجودات لإثبات المطلوب، حيث بدأ في اختبار القسم الأول – أن الموجودات كلها ممكنة – يقول الإمام: (لا جائز أن تكون بأسرها ممكنة؛ لأن كل مجموع فهو مفتقر إلى كل واحد من أجزائه، وكل واحد من أجزاء هذا المجموع ممكن، والمفتقر إلى الممكن أولى بالإمكان، فهذا المجموع ممكن بذاته، وكل واحد من أجزائه ممكن، فإنه لا يترجح وجوده على عدمه إلا لمرجح مغاير له، فهذا المجموع مفتقر بحسب كونه مجموعًا وبحسب كل واحد من أجزائه إلى مرجح مغاير له، وكل ما كان مغايرًا لكل الممكنات لم يكن ممكنًا، فقد وجد موجود ليس بممكن، فبطل القول بأن كل موجود ممكن)[٧٨].

وبعد سبر القسم الأول وبيان بطلانه شرع الإمام في سبر القسم الثاني – أن الممكنات كلها واجبة – يقول الإمام: (لو حصل وجودان كل واحد منهما واجب لذاته لكانا مشتركين في الوجوب بالذات ومتغايرين بالنفي، وما به المشاركة مغاير لما به المما يزة، فيكون كل واحد منهما مركبًا في الوجوب الذي به المشاركة، ومن الغير الذي به المما يزة، وكل مركب فهو مفتقر إلى كل واحدٍ من جزئه وجزء غيره، وكل مركب فهو مفتقر إلى غيره، وكل مفتقر إلى غيره فهو ممكن لذاته، فلو كان واجب الوجود أكثر من واحد لما كان شيء منها واجب الوجود، وذلك محال)[٧٩].

وإذا بطل القسمان (أن الموجودات كلها ممكنة، أو واجبة) ثبت القسم الثالث (بعضهما ممكن وبعضها واجب)، وبالتالي فقد (حصل في مجموع الموجودات موجود واحد واجب الوجود لذاته، وأن كل ما عداه فهو ممكن لذاته، موجود بإيجاد ذلك الموجود الذي هو واجب الوجود لذاته)[٨٠]، وهذا هو المطلوب.

٢- أقسام العالم:

عمد الإمام فخر الدين الرازي إلى طريقة أخرى في الاستدلال على حدوث العالم من خلال تقسيم العالم (ما سوى الله – تعالى-) إلى متحيز، أو صفة للمتحيز، أو لا يكون متحيز ولا صفة له، ثمّ انتقل إلى سبر هذه الأقسام لإثبات حدوثها، يقول الإمام: (كل ما سوى الله – تعالى- إما أن يكون متحيزًا، وإما أن يكون صفة للمتحيز، وإما أن لا يكون متحيزًا ولا صفة للمتحيز، فهذه أقسام ثلاثة)[٨١].

وبعد حصر الإمام فخر الدين الرازي لأقسام العالم شرع في سبر القسم الأول وهو المتحيز؛ للخروج بالنتيجة المطلوبة، حيث ذكر الإمام أن: (المتحيز إما أن يكون قابلاً للقسمة، أو لا يكون، فإن كان قابلاً للقسمة فهو الجسم، وإن لم يكن كذلك فهو الجوهر الفرد[٨٢]، أما الجسم فإما أن يكون من الأجسام العلوية أو من الأجسام السفلية)[٨٣].

أما القسم الثاني من أقسام العالم – الصفة للمتحيز – فقد أوضح الإمام فخر الدين الرازي أن المقصود به هو الأعراض[٨٤]، يقول الإمام: (القسم الثاني: وهو الممكن الذي يكون صفة للمتحيزات فهي الأعراض، والمتكلمون ذكروا ما يقرب من أربعين جنسًا من أجناس الأعراض)[٨٥].

وهنا يخالف الإمام فخر الدين الرازي المتقدمين من الأشاعرة، حيث كانوا يرون أن العرض لا يبقى زمانين[٨٦]، يقول إمام الحرمين الجويني: (العرض ما لا يبقى وجوده، وهذا يجمع أجناس الأعراض وينفي منها ما ليس منها)[٨٧]، بينما الإمام فخر الدين الرازي يقرر أن الأعراض يجوز عليها البقاء زمانين، يقول الإمام: (الحق عندي أن الأعراض يجوز البقاء عليها، بدليل أنه كان ممكنًا الوجود في الزمان الأول، فلو انتقل إلى الامتناع الذاتي في

الزمان الثاني لجاز أن ينتقل الشيء من العدم الذاتي إلى الوجود الذاتي، وذلك يلزم منه نفي احتياج المحدث في المؤثر، وإنه محال)[٨٨].

والقسم الثالث – الذي لا يكون متحيزا ولا صفة للمتحيز– بين الإمام فخر الدين الرازي أنها (الأرواح، وهي إما سفلية، وإما علوية: أما السفلية فهي إما خيرة، وهم صالحو الجن، وإما شريرة خبيثة وهي مردة الشياطين، والأرواح العلوية إما متعلقة بالأجسام وهي الأرواح الفلكية، وإما غير متعلقة بالأجسام وهي الأرواح المطهرة المقدسة)[٨٩].

وقد انفرد الإمام فخر الدين الرازي عن غيره من المتكلمين بتفصيل القسم الثالث – الذي لا يكون متحيزا ولا صفة للمتحيز – والاستدلال على حدوثه، حيث يذكر الإمام فخر الدين الرازي أنه: (ليس مع المتكلمين دليل يدل على فساد هذا القسم، ودليلهم على حدوث العالم إنما يتناول المتحيزات والأعراض القائمة بها، ولا يتناول هذا القسم الثالث، فعلى هذا دعواهم أن كل ما سوى الله محدث، إنما يتم إما بإبطال هذا القسم الثالث، أو بذكر دليل يدل على حدوث هذا القسم الثالث بتقدير ثبوته، ولما لم يذكروا شيئًا في هذين المقامين، بقي كلامهم غير تام في المقصود)[٩٠].

ونستطيع القول بأن الإمام فخر الدين الرازي تميز عن سابقيه بالاستدلال على حدوث الأقسام الثلاثة من خلال إمكانها واحتياجها للواجب، يقول الإمام : (الممكن حال بقائه لا يستغني عن المبقي، والله – تعالى– إله العالمين من حيث إنه هو الذي أخرجها من العدم إلى الوجود، وهو رب العالمين من حيث إنه هو الذي يبقيها حال دوامها واستقرارها)[٩١]، وبالتالي يلزم أن العالم بأقسامه حادث.

رابعًا: الإلزام في إثبات حدوث الزمان:

استخدم الإمام فخر الدين الرازي دليل الحدوث لدحض فكرة قدم الزمان الفلسفية، والتي جنحوا من خلالها للقول بقدم العالم، فعمد الإمام لأصل الفكرة – قدم الزمان –، فبدأ بعرض مفهوم الزمان لدى الفلاسفة، ثم ذكر رأيه في المسألة على النحو الآتي:

أ) ماهية الزمان:

حصر الإمام فخر الدين الرازي آراء الفلاسفة ومذاهبهم في مفهوم الزمان، بما يلي:

- مذهب «أرسطا طاليس» (٣٨٤ ق.م – ٣٢٢ ق.م) وارتضاه المعتبرون من أتباعه كأبي نصر الفارابي، وأبي علي بن سينا: أنه مقدار حركة الفلك الأعظم.
- مذهب أبي البركات البغدادي (٤٨٠هـ – ٥٦٠هـ): إنه مقدار امتداد الوجود.
- قال قوم آخرون: إنه عبارة عن نفس حركة الفلك الأعظم.
- وقال آخرون: إنه لا معنى للزمان إلا مجرد التوقيت.
- وقال آخرون: كما أن النقطة تفعل بحركتها الخط فكذلك الآن يفعل بحركته الزمان، وكما أن النقطة إذا فعلت بحركتها الخط كانت واصلة لأحد قسمي ذلك الخط بالقسم الثاني، وإذا وقفت تلك النقطة كانت فاصلة لذلك الخط وقاطعة له فكذلك الآن، إذا فعل بحركته الزمان، كان آنا واصلا، وإذا فرض حدوثه في الزمان المتصل كان آنا فاصلا.
- وقالت طائفة عظيمة من قدماء الحكماء: الزمان جوهر أزلي واجب الوجود لذاته [٩٢].

ب) المناقشة:

بعد حصر الإمام المذاهب الفلسفية في ماهية الزمان شرع في مناقشة كل مذهب:

أما المذهب الأول: أن الزمان مقدار حركة الفلك الأعظم «أرسطا طاليس» ومن تبعه، فقرر الإمام بطلانه، وساق العديد من الحجج العقلية لبيان ذلك، والتي من أبرزها:-

الحجة الأولى: إن الحركة الفلكية الأولى، لما افتقرت إلى الزمان، فذلك الافتقار إما أن يكون لا لأجل كونها حركة، وإما أن يكون لأجل كونها حركة، والقسمان باطلان، فبطل القول بكون الزمان مقدارا للحركة.

وحجة الإمام في بطلان القسم الأول (الافتقار يكون لا لأجل كونها حركة): لأن الحركة من حيث إنها حركة عبارة عن الانتقال من حال إلى حال آخر، وإذا كان كذلك فالحركة من حيث إنها حركة لا تقرر ماهيتها، ولا تحصل حقيقتها، إلا عند حصول تعاقب القبليات والبعديات، وهذا المعنى لا يحصل إلا بسبب الزمان، فثبت أن الحركة، من حيث هي حركة مفتقرة إلى الزمان، وإذا ثبت هذا، فحينئذ لم يكن حصول الزمان لبعض الحركات ابتداء، وللباقي بالتبعية، أولى من العكس.

وحجة الإمام في بطلان القسم الثاني (افتقار الحركة الفلكية للزمان لأجل كونها حركة): يترتب عليه حصول زمان واحد قائم بجميع الحركات، وهو محال من وجوه:

الأول: إن حلول العرض الواحد في المحال الكثيرة محال.

الثاني: إنه إذا عدمت حركة، فقد عدم مقدارها، والحركة الثانية التي هي باقية موجودة، يكون مقدارها أيضا موجودا.

الثالث: إن الحركات المختلفة تكون مقاديرها مختلفة. فلو كان مقدار جميع الحركات شيئا واحدا مع أنها مقادير مختلفة لزم أن يكون الشيء الواحد وحده بحسب الشخص. تكون له حقائق مختلفة. وذلك محال[٩٣].

وبعد تقرير الإمام لهذه الحجة نجده يلخص محتواها، وينتقد رأي (ابن سينا ت٤٢٧هـ) فيها[٩٤]، فيقوله: (ثبت بما لخصناه: أنا متى فسرنا الزمان بمقدار الحركة، كانت بديهة العقل حاكمة بأن مقدار كل حركة يجب أن يكون قائما بتلك الحركة، وأنه يمتنع أن يحصل هناك مقدار واحد يكون قائما بواحد منها، وتكون سائر الحركات في أنفسها خالية عن مقاديرها، أما قول الشيخ: «إن المقدار الموجود في جسم يقدره ثم تتقدر سائر الأجسام بواسطته» فنقول: هذه مغالطة محضة؛ ذلك لأنه لما كان لكل واحد من تلك الأجسام مقدار على حدة، فكذلك هاهنا وجب أن يكون لكل واحد من هذه الحركات مقدار على حدة)[٩٥].

الحجة الثانية: ذهب الإمام فخر الدين الرازي إلى (أنه لا يعقل من قولنا: الزمان مقدار الحركة، إلا أنه مقدار امتداد الحركة، إذا عرفت هذا، فنقول: امتداد الحركة لا وجود له في الأعيان، وإذا

كان كذلك، امتنع أن يكون مقدار ذلك الامتداد أمرا موجودا في الأعيان، أما بيان أن امتداد الحركة لا وجود له في الأعيان فهو أن الحركة عبارة عن حصولات متعاقبة في أحياز معاقبة، ومن المعلوم بالبديهة أنه لا وجود لمجموع تلك الحصولات في الأعيان، وإنما الموجود منها حصول واحد في آن واحد، ثم ينقضي ويحصل بعده مثله. فثبت: أن امتداد الحركة لا وجود له في الأعيان)[٩٦].

الحجة الثالثة: لو كان الزمان عبارة عن مقدار الحركة، لكان الزمان صفة من صفات الحركة وكل صفة فهي محتاجة إلى الموصوف، ينتج أن الزمان يجب أن يكون محتاجا إلى الحركة لكن الحركة محتاجة إلى الزمان... وهذا باطل؛ لأنه يلزم منه الدور المحال[٩٧].

ويلاحظ أن الإمام فخر الدين الرازي أثناء رده على أرسطو يسوق حجة من كلام أصحاب أستاذه أفلاطون فيقول: (قال أصحاب «أفلاطون»: دل البرهان على أن الزمان قديم، ودل البرهان على أن الحركة يمتنع أن تكون قديمة، وهذا يدل على أن الزمان مغاير للحركة، ومغاير لجميع صفات الحركة)[٩٨].

وبناءً عليه يتبين إحاطة الإمام بجميع الآراء الفلسفية في المسألة، فنجده يناقش ابن سينا (ت ٤٢٧هـ) وينتقده، ثم يرد دعوى أرسطو بكلام أصحاب أفلاطون، ولا شك أن هذا يؤكد على كون الإمام فخر الدين الرازي كانت له شخصية فلسفية مميزة تأثر بها العديد من العلماء.

المذهب الثاني لأبي البركات البغدادي: أن الزمان مقدار امتداد الوجود، فقد أبطله الإمام بقوله: (إن امتداد الوجود عبارة عن بقاء الشيء ودوامه واستمراره، وهذا البقاء والدوام إما أن لا يكون أمرا زائدا على ذات الباقي، أو إن كان زائدا عليه، لكن بقاء كل شيء ودوامه صفة قائمة به. وأيضا: فبقاء كل شيء ودوامه غير بقاء الآخر، وغير دوامه. فلو كان الزمان عبارة عن هذا المعنى لزم أن يكون عدد الأزمنة المجتمعة في هذه الساعة الواحدة، بحسب عدد الأشياء الباقية في هذه الساعة، لكنا قد دللنا على أن القول باجتماع الأزمنة الكثيرة دفعة واحدة: محال)[٩٩].

وأخيرًا قرر الإمام أن باقي المذاهب الفلسفية في الزمان يجري عليه الحجج السالفة؛ عدا المذهب الأخير (قول قدماء الحكماء)، وهو أن الزمان جوهر قائم بنفسه، مستقل بذاته، فذكر الإمام أن

المتأخرين أبطلوا ذلك بأن قالوا: الزمان شيء سيال متجدد الوجود، وما يكون كذلك، فإنه يمتنع أن يكون جوهرا قائما بذاته، مستقلا بنفسه.

وهنا نجد الإمام فخر الدين الرازي يرجح مذهب المتأخرين وينسبه إلى أفلاطون، فيقول: (عندي: أن هذا القول أقرب الأقوال المذكورة في ماهية الزمان وفي حقيقته، وهو مذهب الإمام أفلاطون)[١٠٠].

أما الاستدلال على حدوث الزمان فمن عدة جهات إلزامية، منها:

- نفي القبلية الزمانية: حيث قرر الإمام أن القبلية الزمانية ليست صفة ثبوتية بحيث تتصف بالوجود؛ لذلك لا يمكن أن تتصف بالعدم، وبذلك ينتفي الزمان قبل العالم، وبالتالي ينتفي القول بقدم الزمان[١٠١]، يقول الإمام فخر الدين الرازي: (إن الأمس متقدم على اليوم، وليس ذلك التقدم بالزمان، فلمّ لا يجوز أن يكون تقدم العدم على الوجود جاريًا مجرى تقدم اليوم على الغد؟)[١٠٢].

- ربط الزمان بالحركة: استدل الإمام فخر الدين الرازي من خلال ارتباط الحركة بالمدة الزمنية على حدوث الزمان فقال: (وأما الزمان فهو: اسم للمدة حال كونها متقدرة بالحركة، ولما كانت الحركة حادثة، كان كون المدة المتقدرة بها حادثة، فحينئذ يصح القول: بأن الزمان محدث وله أول)[١٠٣].

- ربط الزمان بالحركة والجسم: يقول الإمام: (إن التقدم بالزمان لا يتقرر إلا عند حصول الزمان، فلو كان عدم العالم متقدمًا على وجوده بالزمان تقدمًا من الأزل إلى الأبد، لزم أن يكون الزمان موجودًا من الأزل إلى الأبد، لكن الزمان من لواحق الحركة، التي هي من لواحق الجسم، فيلزم من تفسير العالم المحدث بما ذكرتم – قدم العالم بالزمان وحدوثه بالذات – القول بقدم الزمان والحركة والجسم، وذلك نقيض مطلوبكم وضد غرضكم)[١٠٤].

والواضح أن الإمام فخر الدين الرازي تدرج في إثبات مطلوبه، فبدأ ببيان ماهية الزمان لدى المذاهب الفلسفية المختلفة، ثم نفي فكرة قدم الزمان، وانتقل لتوظيف فكرة ارتباط الحركة بالزمان، وأخيرًا ارتباط الزمان بالحركة والجسم.

الخـــاتمـــة

من خلال تناول أثر مبدأ الإلزام في الاستدلال علـى وجـود الله تعـالى عنـد الإمـام فخر الدين الرازي أمكن الخروج بمجموع من النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١) كان للإمام الرازي مكانة كبيرة في الفكر الكلامي، حيث لاقت أفكاره قبولًا لدى مـن جاء بعده مثل الجرجاني وسعد الدين التفتازاني، فانتشرت مصنفاته، وتلقفها العلماء، وحرصـوا علـى مدارستها.

٢) ظهر تميز الإمام فخر الدين الرازي في مبدأ الإلزام، وذلك بتناول الاحتمالات الممكنة في مسألة حدوث العالم، والتي لم يتطرق إليها أحد قبله، ثم تنوع طرق الاستدلال، وعرض الشبه ومناقشتها بطريق الإلزام، وهو ما وقع منه الاستفادة وحصل معه التحصيل.

٣) وظف الإمام فخر الـدين الـرازي مبـدأ الإلـزام بطريقـة عقليـة مسـتمدة في الأساس من القرآن الكريم لإثبات وجود الله تعالى ودحض شبه المخالفين.

٤) حافظ الإمام الرازي على مذهبه الأشعري في مناقشاته الإلزامية للفرق المخالفة.

ثانيًا: التوصيات:

من أبرز التوصيات التي خرجت بها الباحثة ما يلي:

١- ضرورة الاهتمام بتراث الإمام فخر الـدين الـرازي مـن خـلال العمـل علـى تحقيق مصنفات الإمام فخر الدين الرازي، وعمل حلقـات ودورات تدريبيـة ، لتحقيـق تـراث الإمام فخر الدين الرازي.

٢- توظيف منهجية الإمام فخر الدين الرازي في تجديد الخطاب الديني، فالإمام استخدم كل المناهج المتاحة في مخاطبة الجمهور.

٣- تدريس مصنفات الإمام فخر الـدين الـرازي علـى طـلاب العلـم في المرحلـة الجامعية، والدراسات العليا، حيث إن دراسة هذه المصنفات تكسـب الطالـب عمقًـا في الفهـم، وتفتح أمامه آفاقًا علمية جديدة.

الهـــوامـــش

(١) الأمور العامة هي: ما لا يختص بقسم من أقسام الموجود، الـتي هـي الواجـب، والجوهر، والعرض، والأمور العامة ما يتناول المفهومات بأسرها إما على سبيل الإطلاق كالإمكان العام أو على سبيل التقابل بأن يكون هو مع ما يقابله متناولا لها جميعا ويتعلق لكل منهما أي مـن هـذين المتقابلين غرض علمي كالوجود والعدم. وبهذا القيد خرج كل مفهوم مع ما يقابله لشـمولهما جميـع المفهومات، إلّا أنه لا يتعلّق بشيء منهما غرض علمي كالإنسان والإنسان، أو يتعلّق بأحـدهما فقـط كالوجوب واللاوجوب إذ هو ليس من الأمور العامة. عضد الدين الايجي، المواقف، – ج١ ص٢١٣– حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الرحمن عميرة – طبعة: دار الجيل. لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) سورة الحديد: الآية ٣.

(٤) أخرجه ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسـول– تحقيـق: عبـد القـادر الأرنؤوط، الجزء الرابع، ص ١٥– طبعة: مكتبة دار البيان– الطبعة الاولى ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.

(٥) ذكر الدكتور محمد صلح الزركان أن الإمام الرازي في معظم كتبه تـابع طريقـة المتكلمين في إثبات الحدوث إلا أنه في كتاب المطالب العالية – الذي يعد أخر مؤلفاته – كان له موقفًا جديدًا أقرب ما يكون إلى ابن رشد. ينظر: لمحمد صالح الزركان، (فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية)، رسالة ماجستير منشورة: كلية دار العلوم بجامعة القاهرة طبعت بدار الفكر ببيروت عـام ١٩٧١م، ص٣٦٤.

(٦) ينظر: ابن السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بـن تقـي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) – تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلـو– طبعة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، ج٨ ص٨١.

(٧) ينظر: تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي – ٧، والمنقذ من الضلال – ص٧٤.

(٨) فخر الدين الرازي، المسائل الخمسون في أصول الدين – تحقيق الـدكتور: أحمـد حجازي السقا، طبعة: دار الجيل . بيروت . لبنان – الطبعة الثانية ١٤١٠ه/ ١٩٩٠م.– ص١٨.

(٩) ينظر: فخر الدين الرازي، الأربعين في أصول الدين – تحقيق: الدكتور عبد الله محمد اسماعيل، والدكتور إبراهيم سليمان سويلم- طبعة: مجمع البحوث الإسلامية (سلسلة إحياء التراث)- الطبعة الأولى ١٤٤١ه/ ٢٠٢٠م.ج١ ص١٥٥.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، مكتبه صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٤ه صـ٥٤٢

(١١) مرتضى الزبيدي – تاج العروس من جواهر القاموس–طبعة: دار الهداية. د.ت.، ٣٣/ ٢٤٠.

(١٢) مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ، طبعة: مكتبة الشروق الدولية. القاهرة – الطبعة الرابعة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م: باب/ اللام جـ٢ صـ٨٢٤ .

(١٣) هذا مما تكشف عنه الأحوال المعيشية، والسلوكيات اليومية، ونبّهت إليه الشريعة الإلهية، وأشارت إليه القواعد الأخلاقية في عبارات منها: أنت حر ما لم تضر فإذا خرجت صرت عبدًا رهين ما تجر .

(١٤) مجد الدين الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، باب/ الميم، فصل/ اللام، جـ١ صـ١١٥٨، تحقيق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثامنة عام (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

(١٥) وقد ذكر أهل العلم أنّ ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة يُسمى المُلتزم ، لأنّ الناس يلتزمونه ويدعون عنده وفضله عظيم ، وثبت أنّه من المواطن التي يُستجاب فيه الدعاء ، وقد ثبت أنّ النبي ﷺ وضع وجهه وصدره وذراعيه وكفيه بالملتزم. د/ محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني : في رحاب البيت الحرامصـ ٥٠ ، دار الثقافة الإسلامية ، الطبعة الثالثة عام (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

(١٦) هو العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، أبو العباس ، لغوي ، اشتهر بكتابه المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، ولد بالفيوم (بمصر) ، ورحل إلى حماة (بسوريه) فقطنها ، ولما بنى الملك المؤيد إسماعيل جامع الدهشة قرره في خطابته ، توفي عام (٧٧٠هـ =١٣٦٨م) . الزركلي، الأعلام جـ ١ صـ ٢٢٤.

(١٧) أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، جـ ٢ صـ ١٠١ ، مطبعة التقدم العلمية بمصر المحمية، الطبعة الأولى عام (١٣٢٣هـ) .

(١٨) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: باب / اللام، ج٢ ص٨٢٣.

(١٩) د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، جـ ٣ صـ ٢٠٠٧، مكتبة دار عالم الكتب، الطبعة الأولى عام (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) .

(٢٠) الحجة من الشواهد على أنّ العقل الواعي متى فهم ما يجب عليه واستدرك فإنّه لا يلقي بنفسه إلى التهلكة، حتى وإذا ألقت به نفسه فإنه ينفصل عن مواطن الزلل قبل الغرق ، فالعاقل في الناس من يُقدّر لرجله الخطوة قبل موضعها.

(٢١) أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب/ اللام، جـ٢ صـ٥٥٢، طبعة المكتبة العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

(٢٢) إمام الحرمين الجويني، الكافية في الجدل، تحقيق: د/ أحمد عبد الرحيم السايح، المستشار/ توفيق على وهبة، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الثانية عام (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م). (صـ٤١).

(٢٣) سورة الفرقان الآية : ٧٧.

(٢٤) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة،– تحقيق: محمد عوض مرعب – طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، (١٣ /٢٢٠).

(٢٥) ابن النجار هو محمد ابن احمد بن عبد العزيز الفتوحي الفقيه الحنبلي ، تقي الدين أبو البقاء ، الشهير بابن النجار ، ولد بمصر سنة ٨٩٨ هـ أخذ العلم عن كبار علماء عصره كعبد الرحمن السخاوي، تولى وظيفة قاضي قضاة الحنابلة بمصر : له "منتهي الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات" في فقه الحنابلة، و"شرح الكوكب المنير" في علم الأصول. توفي سنة ٩٧٢هـ، السحب الوابلة علي ضرائح الحنابلة لابن حميد النجدي (صـ ٣٤٧)، الأعلام (٦/ ٦).

(٢٦) شرح الكوكب المنير (٤/٣٥٦) ، وينظر الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكرى (ص ٤٦٤) ، التعريفات للجوبيني(صـ١٣٧).

(٢٧) ينظر لمحمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، طبعة: دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ– حرف الحاء- ص١٩٤، ١٩٥.

(٢٨) سورة الكهف: الآية ٧٠.

(٢٩) سورة طه: الآية ١١٣.

(٣٠) سورة الطلاق: الآية ١.

(٣١) مرتضى الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس،– مادة (ح. د. ث) – ج٥ ص٢٠٥.

(٣٢) الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد (المتوفى: ٣٩٣هـ) – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار – طبعة: دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.– مادة (ح. د. ث) – ج١ ص٢٧٨.

(٣٣) ابن منظور، لسان العرب، – مادة (ح. د. ث) – ج٢ ص١٣١.

(٣٤) الدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد معجم اللغة العربية المعاصرة، – مادة (ح. د. ث) – ج١ ص.٤٥٢

(٣٥) فخر الدين الرازي ، المطالب العالية من العلم الإلهي – ج٤ ص١٣– تحقيق الدّكتور: أحمد حجازي السّقا – دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان– الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٣٦) شرح المقاصد، للإمام التفتازاني – ج٢ ص٧– طبعة: دار المعارف النعمانية – باكستان– الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

(٣٧) الجرجاني، التعريفات، – باب: الحاء – ص٨٢– دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان– الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

(٣٨) من الجدير بالذكر أن مادة (ع. ل. م) وردت كصفة في القرآن الكريم حوالي (٧١٨) مرة تقريبا، ووردت بمعنى العالم: ما سوى الله تعالى (٦١) مرة. ينظر: للراغب الأصفهاني – المفردات في غريب القرآن، ص ٥٨٠ وما بعدها، وللأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس، – ص ٤٦٩– ٤٨١.

(٣٩) سورة الفاتحة: الآية ٢.

(٤٠) سورة الأنعام: الآية ١٦٢.

(٤١) ينظر: أبو بكر الرازي – مختار الصحاح، ص٢١٧.

(٤٢) ينظر: أبو منصور الأزهري – تهذيب اللغة، ج٢ ص٢٥٢.

(٤٣) ابن لسان العرب، – ج١٢ ص٤٢١.

(٤٤) الدكتور محمد مختار عبد الحميد – معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢ ص١٥٤٢.

(٤٥) ابن سينا، رسالة الحدود، (ضمن مجموع رسائل ابن سينا) – ص٩١- طبعة: دار العرب، القاهرة. بدون تاريخ.

(٤٦) ينظر: الدكتور جميل صليبا- المعجم الفلسفي، حرف العين – ج٢ ص٤٥ – طبعة: دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م.

(٤٧) فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب – دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة: الثالثة -١٤٢٠هـ. ج١ ص١٩٨.

(٤٨) فخر الدين الرازي، المطالب العالية من العلم الإلهيّ – ج٩ ص٢٩١.

(٤٩) فخر الدين الرازي، المطالب العالية – ج٤ ص١٩.

(٥٠) فخر الدين الرازي، المطالب العالية، للإمام الرازي – ج٤ ص٢٧.

(٥١) ينظر: فخر الدين الرازي، نهاية العقول في دراية الأصول – ج١ ص٢٢٣.

(٥٢) ينظر: فخر الدين الرازي، المسائل الخمسون في أصول الدين – ص١٨.

(٥٣) ينظر: المطالب العالية – ج١ ص٢٠٧، ومفاتيح الغيب – ج١ ص٢٤، الأربعين في أصول الدين – ص٧٧.

(٥٤) فخر الدين الرازي، معالم أصول الدين– ص٣٣- تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد- طبعة: دار الكتاب العربي – لبنان.

(٥٥) نهاية العقول في دراية الأصول – ج١ ص٢٢٣.

(٥٦) القاضي عبد الجبار: هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الاسد آبادي، أبو الحسين: قاضٍ، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، له تصانيف كثيرة، "منها: (تنزيه القرآن عن المطاعن) و(الأمالي) و(المجموع في المحيط بالتكليف)، و(شرح الأصول الخمسة) و(المغني في أبواب التوحيد والعدل)، و(تثبيت دلائل النبوة) و(متشابه القرآن)" توفي عام ٤١٥هـ. ينظر: طبقات المعتزلة لابن المرتضى – ص٤٤– عنيت بتحقيقه وطباعته: سوسته ديفلد، فلزر بيروت. لبنان – الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان–ج٣/ ص٣٨٦- طبعة: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان - الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م.

(٥٧) القاضي عبد الجبار – الأصول الخمسة ص ٧٢- تحقيق الدكتور: فيصل بدير عون – مطبوعات جامعة الكويت. لجنة التأليف والتعريب والنشر – الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(٥٨) الغزالي: الشَّيْخُ، الإِمَامُ، البَحْر، حجَّةُ الإِسْلاَم، أُعجوبَة الزَّمَان، زَيْنُ الدّين، أَبُو حَامِد مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الطُّوْسِيّ، الشَّافِعِيّ، الغَزَّالِي، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وَالذَّكَاءِ المُفرِط ، ولد في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) عام (٤٥٠هـ) ، له نحو مئتي مصنف، ومن مُصنفاته (إحياء علوم الدين)، و(تهافت الفلاسفة) و(الاقتصاد في الاعتقاد) و(محك النظر)، و(مقاصد الفلاسفة)، و(الوقف والابتداء) في التفسير، و(البسيط) في الفقه، و(المعارف العقلية)، و(المنقذ من الضلال)، و(بداية الهداية)، و(جواهر القرآن) و(فضائح الباطنية)، توفي عام (٥٠٥هـ). ينظر للذهبي: سير أعلام =النبلاء، ج٩، ص٣٢٢، ٣٢٣، وللسبكي طبقات الشافعية الكبرى– ج٦ ص١٩١، اللدكتور عبد الرحمن بدوي. مؤلفات الغزالي– طبعة وكالة المطبوعات ١٩٧٧م.

(٥٩) أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص٤٨، تحقيق الدكتورة: إنصاف رمضان – طبعة: دار ابن قتيبة. بيروت. لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٦٠) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، لمحمد صالح الزركان – ص٣٦٠ – (رسالة دكتوراه من كلية دار العلوم جامعة القاهرة)– ص٣٦٠ – طبعة دار الفكر . بدون تاريخ.

(٦١) الأكوان: هي الأعراض النسبية الأربعة (الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق)، وهي أمور ثبوتية لها واقع مشاهد محسوس. ينظر: للدكتور سميح دُغيم – موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، طبعة مكتبة لبنان ناشرون – الطبعة الأولى ١٩٩٨م. حرف الكاف – ج٢ ص١١٠٢.

(٦٢) نهاية العقول في دراية الأصول – ج١ ص٢٢٣.

(٦٣) الكون: عبارة عن حصول الجوهر في الحيز، ويندرج تحت الكون أربعة أشياء: أحدهما: الحركة، وهي عبارة عن الحصول في حيز بعد أن كان في حيز آخر، ثانيهما: السكون، وهو عبارة عن حصول الجسم الواحد في حيز واحد في أكثر من زمان واحد، ثالثهما: الاجتماع: وهو عبارة عن حصول المتحيزين في حيزين، بحيث لا يمكن أن يتوسط بينهما ثالث، رابعهما: الافتراق، وهو عبارة عن حصول المتحيزين في حيزين يمكن أن يتوسط بينهما ثالث. ينظر: الأربعين في أصول الدين، للإمام الرازي – ج١ ص١٥٩.

(٦٤) ينظر: للدكتور جميل صليبا المعجم الفلسفي،– حرف الكاف – ج٢ ص٢٤٧.

(٦٥) فخر الدين الرازي، نهاية العقول في دراية الأصول – ج١ ص٢٢٣.

(٦٦) المصدر نفسه: ج١ ص٢٢٤.

(٦٧) فخر الدين الرازي، المطالب العالية من العلم الإلهي – ج٤ ص ٣٦.

(٦٨) فخر الدين الرازي، نهاية العقول في دراية الأصول – ج١ ص٢٢٤.

(٦٩) فخر الدين الرازي، نهاية العقول في دراية الأصول – ج١ ص٣٨٨.

(٧٠) المصدر نفسه – ج١ ص٣٨٨.

(٧١) السبر والتقسيم كلاهما واحد، وهو إيراد أوصاف الأصل، أي المقيس عليه، وإبطال بعضها؛ ليتعين الباقي للعلية، كما يقال: علة الحدوث في البيت؛ إما التأليف أو الإمكان، والثاني باطل بالتخلف؛ لأن صفات الواجب ممكنة بالذات وليست حادثة، فتعين الأول. ينظر: للإمام الرازي المطالب العالية،– ج٥ ص ١٢٦، وللجرجاني التعريفات– حرف السين – ص١١٦.

(٧٢) الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب. أصله من الروم، من كتبه "معجم البلدان" و"إرشاد الأريب" ويعرف بمعجم الأدباء، و"المقتضب من كتاب جمهرة النسب" و"المبدأ والمآل" في التاريخ، وكتاب "الدول" و"أخبار المتنبي" و"معجم الشعراء"، توفي عام ٦٢٦هـ، ينظر للزركلي: الأعلام - ج٨ ص١٣١.

(٧٣) أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (المتوفي ٦٢٦ه) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) – ج٦/ ص٢٥٨٦ – تحقيق: إحسان عباس – طبعة: دار الغرب الإسلامي. بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

(٧٤) مراعاة شروط السبر والتقسيم انطلق منها الإمام الرازي في الزام خصمه وتسليمه في العديد من المناقشات حول مسألة حدوث العالم. ينظر: للإمام الرازي – المطالب العالية، ج٥ ص ١٢٦، وللدكتور/ سميح دغيم، موسوعة مصطلحات الإمام الرازي،– ص٢٣٣– طبعة مكتبة لبنان ناشرون – الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(٧٥) سعى الإمام الرازي في هذا التقسيم لربط إمكان العالم بحدوثه، وهذا الربط تميز به الإمام الرازي لإلزام الفلاسفة الذين اعتمدوا دليل الإمكان بديلاً لدليل الحدوث؛ لإثبات واجب الوجود جلّ علاه، وهذا يظهر القيمة الكلامية والفلسفية للإمام الرازي، فقد قرر الإمام أن الممكن محتاج لعلة مؤثرة تخرجه من العدم إلى الوجود، مثال ذلك: (أن أفعالنا محتاجة إلينا، لأجل حدوثها، وثبت: أن علة الحاجة هي الحدوث. ولما ثبت أن الأجسام محدثة، كانت علة الحاجة إلى الفاعل حاصلة فيها، فوجب القطع بافتقارها إلى الفاعل). فخر الدين الرازي، المطالب العالية – ج١ ص ٢١٢.

(٧٦) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب – ج٧ ص٦.

(٧٧) من شروط التقسيم المنطقي: أن يكون جامعاً مانعاً، فيجمع كل الأقسام العقلية إن كان تقسيماً عقلياً، وكل الأقسام الموجودة في الخارج إن كان تقسيماً استقرائياً. ينظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال للشيخ: عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني – ص٣٩٥؛ وضوابط الفكر، للدكتور: محمد ربيع الجوهري – ص٨٩- طبعة: مكتبة الإيمان. القاهرة- الطبعة الخامسة ٢٠١٢م.

(٧٨) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب – ج٧ ص٦.

(٧٩) مفاتيح الغيب: ج٧ ص٦.

(٨٠) المصدر نفسه: ج٧ ص٦.

(٨١) المصدر نفسه – ج١/ ص١٩٨.

(٨٢) الجوهر: هو "الموجود لا في موضوع، أما الجوهر الفرد: هو ما يمكن وقوعه في أحياز لا نهاية لها، وموصوفاً بأوصاف لا نهاية لها، والله تعالى عالم بكل الأحوال على التفصيل، وكل هذه الأقسام داخلة تحت قوله تعالى {عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}"، [سورة الأنعام: الآية ٧٣].الدكتور: سميح دغيم – موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، حرف الجيم – ص٢٤٠.

(٨٣) مفاتيح الغيب – ج١ ص١٩٨.

(٨٤) العرض: هو الذي لا يقوم بنفسه، بل يحتاج إلى محل يقوم فيه، والمحل إما أن يكون جسم أو جوهر. ينظر: فخر الدين الرازي، المطالب العالية في العلم الإلهي – ج٤ ص٩.

(٨٥) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب – ج١ ص١٩٨.

(٨٦) ينظر: للإمام أبي الحسن الأشعري– اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص٩٣- صححه وقدم له الدكتور: حمودة غرابة – مطبعة مصر ١٩٥٥م، القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) – الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص١٦– تحقيق: محمد زاهد الكوثري – طبعة: المكتبة الأزهرية للتراث – الطبعة الثانية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٨٧) إمام الحرمين الجويني – الشامل في أصول الدين، ص١٦٧ – تحقيق: على سامي النشار وآخرين – طبعة: منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٦٩م.

(٨٨) فخر الدين الرازي، معالم أصول الدين – ص٣٣.

(٨٩) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب –ج١ ص١٩٨، ١٩٩.

(٩٠) فخر الدين الرازي، المطالب العالية في العلم الإلهي – ج٤ ص١٢.

(٩١) مفاتيح الغيب – ج١ ص١٩٩.

(٩٢) ينظر: فخر الدين الرازي، المطالب العالية- ج٥ ص٥١، والمباحث المشرقية – ج١ ص٦٤٢.

(٩٣) ينظر: فخر الدين الرازي، المطالب العالية- ج٥ ص٥٣، ٥٤.

(٩٤) كان الإمام الرازي دقيقًا، وموضوعيًا في نقده للشيخ الرئيس، فيقول: (إنما حررنا ذلك الدليل على وجه لا يتعلق به كلام الشيخ ولا يقدح فيه). المطالب العالية- ج٥ ص٥٦.

(٩٥) ينظر: فخر الدين الرازي، المطالب العالية- ج٥ ص٥٦، ٥٧.

(٩٦) ينظر: فخر الدين الرازي، المطالب العالية- ج٥ ص٥٨.

(٩٧) ينظر: فخر الدين الرازي، المطالب العالية- ج٥ ص٥٩، ٦٠.

(٩٨) ينظر: المطالب العالية- ج٥ ص٦٤.

(٩٩) فخر الدين الرازي، المطالب العالية- ج٥ ص٧٥.

(١٠٠) فخر الدين الرازي، المطالب العالية- ج٥ ص٧٦.

(١٠١) ينظر: فخر الدين الرازي، الأربعين في أصول الدين، للإمام الرازي- ج١ ص٢٥٣.

(١٠٢) المصدر نفسه- ج١ ص٢٥٤.

(١٠٣) فخر الدين الرازي، المطالب العالية– ج٥ ص١٠٤.

(١٠٤) فخر الدين الرازي، الأربعين في أصول الدين، للإمام الرازي- ج١ ص١٦٧.